المبحث الأول: معنى المثل ومعنـــــاه في القـــرآن

معنى المثل لغة:- إن المثل كلمة تسوية ، يقال هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه ، فإذا قيل إنه مثله على الإطلاق أي يسد سده ، والفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين والمتفقين – لأن التساوي هوا التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص .

وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين .وإذا قيل هو مثله في كذا ، فهو مساو له في جهة دون جهة .

والمثل الشبه يقال مثل ومثل شبه وشبه .

والمثل : الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعله مثله ، وفي الصحاح ما يضرب به من الأمثال ، قال الجوهري ومثل الشيء أيضا صفته.[1]

والمثل مأخوذ من المثال والحذو . الصفة تحلية ونعت .

ويقال تمثل فلان أي ضرب مثلا وتمثل بالشيء أي ضربه مثلا وفي التنزيل العزيز:-

- **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ.**[2]

و قد يكون بمعنى العبرة ومنها قوله تعالى :-

- **فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلا لِلآخِرِينَ.**[3]

و قد يكون المثل بمعنى الآية قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام :-

- **وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ.**[4]

و (المثال) المقدار هو من الشبه والمثل وما جعل مثالا أي مقدار لغيره يحذى به .

والجمع المثل وثلاثة أمثلة ، والمثال القالب الذي يقدر على مثله.[1] وجاء في أساس البلاغة للزمخشري:-

---

[1] لسان العرب، بن منظور (بتصرف).
[2] سورة الحج: 73.
[3] سورة الزخرف: 56.
[4] سورة الزخرف: 59.

(مثل) مثله ومثيله ومماثله . ومثل به مثله .....

وحلت به المثلة أي العقوبة ، وقد يكون بمعنى الإنتصاب ، يقال : مثل قائما أي إنتصب مثولا رأيت ماثلا بين يديه [2]

وورد المثل بمعنى الشبه أيضا في مقاييس اللغة :إذ يقول صاحبه :-

(والميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظر الشيء للشيء ، وهذا مثل هذا أي نظيره ، والمثل المثال في معنى واحد ، وربما قالوا مثيل كشبيه)[3]

ومثل له الشيء ، صوره حتى كأنه ينظر إليه وأمتثله هو أي تصوره ، ومثلت له كذا تمثيلا اي صورت له مثاله لكناية وغيرها والمثل أي المصور والماثل ، القائم أو الدارس .

ومثلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره ويكون تمثيل الشيء بالشيء شبيها به.[4]

وقد عرف المثل بما يلـــي :-

(هو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه)[5]

وقيل سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالا لانتصاب صورها في العقول مشتقه من المثول الذي هو الانتصاب[6] ويرى ابن القيم أن المثل تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر.[7]

فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول كعقول كعب بن زهير :-

---

1 اللسان:"مثل".
2 أساس البلاغة ، الزمخشري ، تحقيق عبد الرحيم محمود "مثل" (بتصرف)ط سنة 1982م ، دار المعرفة بيروت.
3 مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام هارون "مثل".
4 اللسان . "مثل" (بتصرف).
5 مجمع الأمثال . الميداني ، تحقيق . محمد أبوا الفضل ، عيسى الحلبي وشركاه.
6 نفسه ص 7
7 الأمثال في القرآن الكريم . لابن القيم .ص.2 تحقيق سعيد الخطيب ط سنة 1981م.

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ومواعيده إلا الأباطيــل [1]

فمواعيد عرقوب علم لكل ملا يصلح من المواعيد ومثل لها .

معنى المثل اصطلاحا:-

إذا أردنا تناول هاذ المعنى في الاصطلاح فعلينا أن نعرفه في اصطلاح الأدباء وعلماء البلاغة ثم عند المفسرين لنقف على حقيقة معناه في القرآن الكريم .

أ- **التعرف الأدبي للمثل:** لقد عرف المبرد المثل بقوله :-

(هو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول) [2] ويقول الزمخشري في ذلك :- (ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل لم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه. [3]

وقد ذهب الرازي على أن المثل هـ القول الممثل مضربه بمورده وشرطه أن يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه. [4]

ويرى الطوسي أن من حكم المثل أنه لا يتغير لأنه صار كالعلم .[5]

وقد وافقه الرازي في ذلك إذ قال :- (والأمثال لا تغير لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة إنها بمنزلة من قيل له هذا القول فالأمثال كلها لا تتغير).[6]

وخلاصة الآراء السابقة أن المورد والغرابة والسيرورة هي الركائز الثلاث التي بني عليها الأدباء المثل الاصطلاحي عندهم.

---

1 ديوان كعب بن زهير ص8 و دار الكتب المصرية سنة 1950م.
2 مجمع الامثال5/1.
3 الكشاف ، الزمخشري 190/1 ط 1972م.
4 مفاتيح الغيب ، الرازي 293/1 . دار الطباعة القاهرة سنة 1307هـ استانبول (بتصرف).
5 التبيان في تفسير القرآن، الطوسي .احمد القصير 341/7.
6 نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، الرازي ص81، مطبعة الأدب والمؤيد القاهرة سنة 1317هـ.

ب- معنى المثل في الاصطلاح البلاغي:-

لقد اعتبر أبو عبيد القاسم ابن سلام في استعمال العرب للمثل اجتماع ثلاث خلال هي (إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه).[1]

وقد رأى إبراهيم النظام أنه يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام ، إيجاز الفظ وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه وجودة الكتابة ، كما يرى أنه بذلك نهاية البلاغة .[2]

وجاء في تفسير الخازن أن المثل هو تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتأكد الوصل إلى ماهيته وذلك هو النهاية في الإيضاح.[3]

وذكر أبو حيان الأندلسي أن المثل هو :-

(ذكر وصف محسوس وغير محسوس يستدل به على وصف مشابه له من بعض الوجوه فيه نوع من الخفاء ليصير في الذهن ساويا للظهور للأول من وجه دون وجه).[4]

وهذا التشبيه قد تذكر أداته وربما لا تذكر فيحمل حينئذ على الاستعارة أو التشبيه البليغ الذي حذفت أداته ، وإلى هذا المعنى أشار الطوسي بقوله:- (والتشبيه في الأمثال لما يحتاج إليه من البيان ، هو على وجهين ، احدهما ما يظهر فيه أداة التشبيه والآخر مالا يظهر فيه).[5]

وخلاصة ما سبق من تعريفات بلاغية نستطيع أن نقول إن المثل في الاصطلاح البلاغي

---

[1] المزهر في علوم اللغة وأنواعها . السيوطي . تحقيق محمد أبو فضل إبراهيم وآخرين . 461/1 ، مطبعة الحلبي سنة 1969م،القاهرة.

[2] مجمع الأمثال. 6/1 ، (بتصرف).

[3] لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين الخازن 36/1 ط2 سنة 1955م مطبعة مصطفى محمد ،القاهرة (بتصرف).

[4] البحر المحيط ، أبو حيان ، 84/1 ط2 سنة 1983م دار الفكر للطباعة والنشر.

[5] التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ، تحقيق احمد القصير، 293/6 ط سنة 1957ك ، المطبعة العلمية ، النجف الأشرف.

هو :-

كشف الحجاب عن الأمور العقلية الخفية وتشبيهها بالمحسوسات الجلية حتى تبدو في صورة مألوفة قريبة من الفهم والتصور، ولا فرق في ذلك بين إبرازها في أسلوب التشبيه أو الكتابة أو الاستعارة مادام القول بليغا موجزا مؤديا الفرض المطلوب.

المثل في القرآن الكريم:

لقد تحث مقاتل بن سليمان البلخي[1] عن معنى المثل في القرآن وبين في حديثه هذا وجود دلالة المثل في الاستعمال القرآني فحد ذلك بأربعة وجوه :-

الوجه الأول : ويعني الشبه ومنها قوله تعالى :-

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ)[2] أي الأشباه نصفها للناس وقوله تعالى :-

(ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ)[3] أي شبههم .

والوجه الثاني: يعني التسيير قال تعالى :-

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم)[4] أي : سير مؤمني الأمم الخالية .

والوجه الثالث : يعني العبرة كقوله تعالى :-

(فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلا لِلآخِرِينَ)[5] أي عبرة لمن جاء بعدهم .

وقوله : **(إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ)**[6] . أي : عبرة لني إسرائيل .

والوجه الرابع : يعني عذابا كقوله تعالى :-

(وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ)[7]

أي : وصفنا له العذاب ، وقوله :-

(وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ)[1] أي : وصفنا لكم العذاب[2]

---

[1] المتوفى عام 150 هـ .
[2] سورة العنكبوت : 43 .
[3] سورة الفتح : 29 .
[4] سورة البقرة :214 .
[5] سورة الزخرف : 56 .
[6] سورة الزخرف : 59 .
[7] سورة الفرقان : 39 .

وللمثل في القرآن معنى آخر وهو الصفة أو الهيئة المميزة للشيء ، وقد

قال بهذا المعنى كل من:-

1- ابن قتيبة (م سنة 276 هـ).[3]

2- ابن رشيق (م سنة 456 هـ).[4]

3- الطبرسي (م سنة 548 هـ). الذي أضاف إلى ذلك المعنى عين الشيء وشبهه[5]

4- أبو الحسن الفتوني العالمي (م سنة 1138).[6]

5- الصاوي (م سنة 1241 هـ).[7]

وتجاوز فريق آخر هذا المعنى إلى لفظ المثل في القرآن يستعار للحال أو للصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ويمثل هذا الرأي كل من :-

1- الزمخشري (م سنة 538 هـ) إذ يقول في قوله تعالى :-

- **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا** (الآية 17 سورة البقرة).

يقول:(قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شان وفيها غرابة كأنه قيل : حالهم العجيب الشأن كحال الذي استوقد نارا .....[8]

2- الرازي (م سنة 606 هـ)[9]

3- البيضاوي (م سنة 685 هـ)[1]

---

[1] سورة إبراهيم : 45 .
[2] الأشباه والنظائر في القرآن، مقاتل بن سليمان البلخي، د.عبد الله شحاته 207/1 - 208 (بتصرف) ط 1975م.
[3] مجمع البيان، الطيرسي 296/3.
[4] العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق 28/1.
[5] مجمع البيان، الطيرسي 438/3.
[6] مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ، أبو الحسن الفتوني العالمي . ص303 ، طهران مطبعة الأفتاب سنة 1374هـ
[7] حاشية الصاوي على تفسير الجلالين 12/1.
[8] الكشاف ، الزمخشري 195/1.
[9] مفاتيح الغيب 293/1.

4- النيسابوري (م سنة 728 هـ)[2]

5- الزركشي (م سنة 794 هـ) إذ يقول :-

والمثل هو المستغرب ، قال الله تعالى: **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ.**[3]

وقال تعالى: **مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ.**[4]

ولما كان المثل السائر فيه غارية استعير لفظ المثل للحال أو الصفة أو القصة و إذا كان لها شأن وفيها غرابة.[5]

وقد مثل الزركشي لاستعارة لفظ (المثل) للوصف بقوله تعالى:-

- **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ....** [6]

كذلك مثل لاستعار لفظ (المثل) للوصف بقوله :-

- **ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ.** [7]

ومثل لاستعماله بمعنى القصة العجيبة الشأن بقوله :-

- **مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ.** [8]

ونلتقي بتعرف آخر للمثل في تفسير العلامة أبي السعود يقول :-

(...وهو رفع الحجاب عن وجوه المقولات الخفية وإبرازها في معرض المحسوسات الجلية ، وإبداء المنكر في صورة المعروف وإظهار الوحشي في هيئة المألوف)[9]

---

[1] أنوار التنزيل ،البيضاوي 91/1.
[2] غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، النيسابوري. تحقيق إبراهيم عطو. عوض 13/1 مطبعة مصطفى الحلبي سنة 1964 م القاهرة .
[3] سورة النحل : 60.
[4] سورة الرعد : 35.
5 البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم 488/1 بيروت.
6 سورة البقرة 17.
7 سورة الفتح 29.
8 سورة الرعد 35.
9 إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم 50/1.

وبهذا التعريف يتفق مع الزمخشري في قوله :- (ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي ، في إبراز خابيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المستحيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد).[1]

ويأتي المثل في القرآن بمعنى الآية والعبرة كما جاء في قوله تعالى :-

- **إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ.**[2]

أي : آية وعبر لبني إسرائيل.[3]

وخلاصة ما سبق أن المثل قد استعمل في القرآن الكريم بمعنى الشبه ، وبمعنى التسيير أو العبرة أو العذاب . واستعمل أيضا بمعنى الصفة أو الحال ، وقد فرق القائل بهذا الرأي [4] بين الصفة والحال وبين ان الصفة تكون في الأمور التي لا تتغير مع تغير الأزمان والأطوار أما الحال في التي تتغير من حين إلى آخر وفقا لتغير المؤثرات.

كذلك جاء المثل في القرآن بمعنى الآية ، واستعمل أيضا في كل قصة ذات شأن عظيم وخطر جليل وبهذا ستطيع أن ندلي بالرأي هنا في معنى المثل في القرآن الكريم والله أعلم بالصواب.

إن المثل في القرآن ، قد استعمل لكل شبيه أو نظير في قصة عجيبة أو شأن خطير أو حال جليلة كذلك استعمل ليأخذ به العبر أو العظة أو الآية لأمم لاحقه...

وقد وردت معظم هذه المعاني في آيات قرآنية تجلي الغامض وتمحو الإبهام عن المعاني حتى تصبح سهلة مألوفة قريبة من كل فهم أو تصور وحتى يبدو الوحشي

---

1 الكشاف 195/1.
2 سورة الزخرف : 59.
3 مجمع البحرين . فخر الدين بن محمد الطريحي .تحقيق أحمد الحسيني 469/5 مطبعة الآداب النجف الأشرف الأشرف 1961 .
4 البرهان في علوم القرآن الزركشي 489/1 (بتصرف).

منها مألوفا والذهني المجرد محسوسا ملموسا دون أن تنقص هذه الطريقة من جلال المعنى وجماله شيئا بل تزيده وقارا وعزة وجلالا كي لا وهي من لدن عزيز حكيم

تطور دلالة لفظ المثل :-

(إن الأصل في المثل يعني المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل وشبه وشبيه ثم أطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورد. وحيث لم يكن ذلك إلا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد ، وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد ، استعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن عجيب من غير أن يلاحظ بينهما وبين شيء آخر شبيه ومنه

- :قوله عز وجل:- **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى**[1] .
- وقوله تعالى:- **مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**[2] . أي قصتها العجيبة الشأن).[3]

معنى ضرب المثل :-

يعني ضرب المثل أن يشبه مضربه وهو ما يضرب في ثانيا مثلا لمورده وهو ما ورد في أولا[4].

أما الضرب بمعناه اللغوي العام فيعني :-

إيقاع شيء على شيء وقد يتعدى باليد والسيف والسوط والعصا وما شابه كل ذلك ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى . **فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ.**[5]

وقد يأتي بمعنى مجازي كما في قول الإمام علي كم الله وجهه :-

(ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه).[6]

أما معنى الضرب مضافا إلى الأمثال فيعني :-

---

1 سورة النحل :60.
2 سورة الرعد 35.
3 إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم 60/1.
4 حاشية الشريف علي بن محمد الجرجاني على الكشاف 195/1 (بتصرف).
5 سورة البقرة 60.
6 شرح نهج البلاغة . ابن أبي الحديد . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم 90/1 القاهرة سنة 1959م.

1–المثل (بالكسر) والشبه وقد ذهب إلى هذا المعنى ابن سيده (م سنة 458هـ).[1]

2– أما عند الفيروز أبادي فالضرب والمثل بمعنى واحد[2] ومثال ذلك قولهم وتمثل بالشيء أي:– ضربه مثلاً .

3– الضرب بمعنى المثل أو التمثيل قال هذا ابن منظور (م سنة 711 هـ) فمعنى "**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا**"[3] أي : مثل لهم مثلا[4] وفي قوله تعالى :– "**يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ**" .

أي يمثل الحق والباطل حيث ضرب مثلا للحق والباطل والكافر والمؤمن في هذه الآية.

4– أَيضا ذكر ابن منظور أن الضرب بمعنى المثال ومثال ذلك يقال : (هذه الأشياء على هذا الضرب أي على هذا المثال).[5]

وذهب آخرون إلى أن الضرب بمعنى :–

1–الوصف والبيان : قال بذلك كل من مقاتل بن سليمان البلخي (المتوفى سنة 150هـ) وأبي جعفر الطبري (المتوفى سنة 310هـ) وقد انتصر مقاتل على الوصف فقط فعنده (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا**)[6]

أي وصف شبيها[7]

وأضاف الطبري إلى الوصف البيان وحمل عليه قول الكُمْيت :–

وذلك ضَربُ أخماسٍ أُريدَتْ ** لأَسدَاس عَسَى ألا تكَونــا[8]

وذهب إلى ذلك أيضا الطريحي في مجمع البحرين.[9]

2 – أيضا الضرب بمعنى التثبيت والاعتماد والوضع وقد ذهب إلى هذه المعاني على التوالي كل من :–

---

1 لسان العرب . (ضرب) (بتصرف).
2 القاموس المحيط . الفيروز أبادي (ضرب) .
3 سورة يس : 13 .
4 لسان العرب . "ضَرَبَ" (بتصرف).
5 لسان العرب. "ضَرَبَ"
6 سورة النحل : 75 .
7 الأشباه والنظائر في القرآن الكريم 207/1 ، 208 (بتصرف).
8 جامع البيان . الطبري 179/1 ط 2 سنة 1968 . مطبعة مصطفى الحلبي.
9 مجمع البحرين 105/2 .

الطوسي (م سنة 460 هـ) و الزمخشري (م سنة 538 هـ) والألوسي (م سنة 1270هـ) إذ فسر الطوسي قوله تعالى :- **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ)**[1]

يعني ضرب مثل جعل كقولهم ضرب على أهل الذمة الجزية لأنه كالتثبيت شبه الضرب بالمعروف.[2]

وعند الزمخشري أن الضرب يأتي اعتمد ووضع.[3]

أما الألوسي فيرى انه إيقاع شيء على شيء ، وقيل بمعنى الذكر وقيل البيان وقيل (يضع)[4] كقوله تعالى :- "**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ**"[5]

فضرب الأمثال بهذا المعنى بمعنى ترسيخها وتثبيتها ووضعها معتمدة متينة الأساس.

3- وورد أيضا الضرب بمعنى الذكر في لسان العرب[6] كذلك في مجمع البحرين[7]

وروح المعاني[8]

"**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ**".[9]

أي أذكر لهم مثلا فضرب الأمثال هنا يعني ذكرها.

4 – ويأتي الضرب بالمعنى الأخذ والانتزاع عند الطريحي ومثل لذلك بقوله تعالى:-

" **ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ** ".[10]

---

1 سورة الحج : 73 .
2 التبيان في تفسير القرآن الطوسي ، 302/7 (بتصرف).
3 الكشاف 553/2.
4 روح المعاني 206/1 (بتصرف).
5 سورة البقرة ، 61.
6 لسان العرب "ضرب".
7 مجمع البحرين ، الطريحي 105/2.
8 روح المعاني 206/1.
9 سورة يس ، 13.
10 سورة الروم ، 28.

أي أخذ لكم مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهوا أنفسكم.[1]

هذه خلاصة آراء بعض المفسرين واللغويين في معنى ضرب المثل.

أما علماء البلاغة : فكانوا أكثر عمقا في تفسير ذلك المعنى إذ قال أبو هلال العسكري (م سنة 395 هـ تقريبا) :-

(وضرب المثل جعله يسير في البلاد من قولك :-

"ضرب في الأرض إذا سار فيها ومنه سما المضارب مضاربا).[2]

وبهذا ينحصر معنى الضرب في السيروره وهذا ولا شك يرتبط بالمعنى اللغوي للضرب وهو

(الإسراع في السير) الذي ذهب إليه ابن منظور في لسان العرب[3] وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :-

" **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا....** الآية.[4]

أو قد يكون معنى (ضرب المثل) نصبه للناس بإشهاره لتستدل عليه خواطرهم كما تستدل عيونهم على الأشياء المنصوبة واشتقاقه حينئذ من قولهم :-

(ضرب الخباء و إذا نصبته وأثبت طنبه)[5]

وقوله تعالى :- " **كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ** "[6]

أي ينصب منارهما ويوضح أعلامهما ليعرف المكلفون الحق بعلاماته فيقصدوه ويعرفوا الباطل فيجتنبوه كما قال الشريف الرضي :-

---

1 مجمع البحرين 104/2.
2 الحكم والأمثال . خنا الفاخوري ص 79 القاهرة ط 1969 هـ ، دار المعارف.
3 لسان العرب . "ضرب". (بتصرف).
4 سورة النساء ، 101 أيضا بهذا المعنى آية 106 من سورة المائدة.
5 الأمثال في القرآن الكريم . لابن قيم الجوزية .تح . محمد الخطيب ص 21، دار الباز مكة المكرمة.
6 سورة الرعد : 17.

وقد يفهم من ضرب المثل إنشاؤه فيكون مشتقا من ضرب اللبن وضرب الخاتم.[1] وقد يكون من الضرب بمعنى إبقاء شيء على شيء ومنه ضرب الدراهم أي إيقاع النموذج الذي به الصك على الدراهم لتنطبع به ، فكأن المثل مطابق للحالة أي للصفة التي جاء لإيضاحها.[2]

ويمكن بعد عرض هذه الآراء المختلفة أن تقول : إن الضرب المثل في القرآن قد جمع معظم هذه المعاني إن لم يكن كلها وإذا جاز لنا أن نخوض في مجال معنى ضرب المثل فإننا نذهب إلى القول:-

هو إيقاع شيء على شيء فالشيء الأول الذي أخذ منه المثل هو المورد والشيء الثاني هو المضرب فيكون بذلك ضرب المثل هو تمثيل مضربه بمورده

أي تشبيه الحال الثانية بالأولى.... ثم تكون له طبيعية السيرورة والانتشار بين الناس في مختلف الأماكن والأمصار وعلى تفاوت مستويات الأذواق والفهم عندهم.

1 تلخيص البيان في مجازات القرآن . للشريف الرضي ص107 (بتصرف).
2 الأمثال في القرآن الكريم. لابن القيم ص 21 .

المبحث الثاني: أهمية ضرب المثل في الكلام وفائدته

للمثل في الكلام مكانة هامة ووظيفة ملموسة الفائدة واضحة الأثر وذلك لما له من قدرة عجيبة على تجاوز السمع إلى القلوب واستقرار المعاني في الأذهان وتعلقها بالنفوس يقول ابن المقفع (م سنة 142 هـ) :- (إذا جعل الكلام مثلا ، كان ذلك أوضح للمنطق وأبين في المعنى آنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث).[1]

ويرى النظام (م سنة 221 هـ) أن المثل نهاية البلاغة بعد إشارته إلى ما فيه من خصائص فقال:- (تجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكتابة ، فهو نهاية البلاغة).[2]
ويرى ابن سلام (م سنة 232 هـ) أن الأمثال حكمة العرب ثم أشار إلى نفس الخصائص التي أثبتها له النظام فقال : - (الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في النطق ، بكناية غير التصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه).[3] أما الفارابي فقد اعتبرها أبلغ الحكمة ، لاجتماع الناس عليها فقال:- (المثل : ما ترضاه العامة والخاصة ، في لفظه ومعناه ، حتى ابتدلوه فيما بينهم ، وفاهوا به في السراء والضراء ، فاستدروا به الممتنع من الدار ، وتوصلوا به إلى المطالب القصية وتفرجوا به من الكرب المكربة وهوا من ابلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص ، أو مقصر في الجودة ، أو غير بالغ المدى في النفاسة).[4]
وأشار قدامه بن جعفر (م سنة 337هـ) إلى تفضيل الحكماء والأدباء للأمثال لأنها أنجح لما يبتغون مطلبا ، لاقترانها بالحج والبراهين فقال :- (.... فأما الحكماء والأدباء فلا يزالون يضربون الأمثال ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر ، والأشباه ، والأشكال ويرون هذا القول أنجح مطلبا و وأقرب مذهبا ، وإنما فعلت

---

[1] الأدب الصغير . عبد الله بن المقفع ص 27 ط سنة 1974م دار بيروت للطباعة والنشر وشعوب الحديث : أي متفرقة ومتنوعة.
[2] مجتمع الأمثال 7/1، 8.
[3] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال . بكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ص5 مطبعة مصر الخرطوم سنة 1958م.
[4] ديوان الأدب . الفارابي (أبو نصر إسحاق ابن إبراهيم . مخطوط دار الكتب المصرية رقم (4701 هـ).

العلماء ذلك لأن الخبر في نفسه إذا كان ممكنا فهو محتاج إلى ما يدل عليه، وعلى صحته ، والمثل مقرون بالحجة).[1]

وأشار ابن عبد ربه (م سنة 327 هـ) إلى سيرورة الأمثال وانتشارها واختيار الناس لها ، وجريانها على ألسنتهم ، في كل زمان ، واعتبارها أبقى من الشعر واشرف من الخطابة مع مكانتها المعلومة في الأدب العربي فقال:-

(هي وشيء الكلام وجوهر اللفظ ، وحلي المعاني ، والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ، ونطق بها في كل زمان ، وعلى كل لسان ، في أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء سيرها ، ولا عم عمومها ، حتى قيل أسير من مثل)[2]. ووافقه في ذلك أبو هلال العسكري (م سنة 395 هـ) فيما أضفاه عليها من شرف فاعتبرها من أجل الكلام وأنبله وأشرفه ، وعد من لم يعن بها - من الأدباء - غير تام الآلة في الأدب ، ولا موفور الحظ منه.[3]

وذكر الخفاجي (م سنة 466 هـ) فضل ثبوتها في الأذهان بقوله :(سمي مثلا لأنه ماثل بخاطر الإنسان دائما).[4]

وتحدث الشيخ عبد القاهر الجرجاني عن تفضيل العقلاء لها وأفاض في حديثه عن تأثيرها في النفوس سواء كان ذلك مدحا أو ذما فخرا أو هجاء أو اعتذارا فقال:-

(وأعلم أن ما اتفق العقلاء عليه : أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته و كما كساها أبهة ، وأكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في

---

1 نقد النشر . قدامه بن جعفر ص73، 74 تح د . طح حسين، وعبد الحميد العبادي . المطبعة الأميرية بولاق سنة 1941م.

2 العقد الفريد . ابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد) 63/3 ،شرح وضبط . أحمد أمين وأحمد الزين و إبراهيم الإبياري ط 3 ، 1965 م القاهرة .

3 جمهرة الأمثال . أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل) المقدمة اعتنى بطبعة الميرزا محمد سنة 1307 هـ .

4 مجمع الأمثال . المقدمة .

تحريك النفوس لها و ودعا القلوب إليها ، واستشار لها من أقاصي البلاد الأفئدة صبابة ، ولفا وفسر الطباع ، على أن تعطيها محبة وشففا)[1].

وأشار الزمخشري (م سنة 538هـ) إلى جوانب من أهمية الأمثال في قوله :- (هي قصارى فصاحة العرب العرباء ، وجوامع كلامها ، ونوادر حكمها ، وبيضة منطقها ، و زبدة جواهرها ، وبلاغتها ، التي أعربت بها القرائح السليمة ، حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى ، وقصرت العبارة فأطالت المغزى ، ولوحت فأغرقت في التصريح ، وكنت أغنت عن الإفصاح ، ولأمر ما سبقت إذا عتها الرياح ، وتركتها كالراسفة في القيود ، يتدارك سيرها في البلاد ، حتى شبهوا بها كل سائر أمعنوا في وصفه وشارد لم يألفوا في نعته).[2]

كذلك رأي الزمخشري في ضرب العرب للأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأنا ظاهرا في إبراز غيبيات المعاني ،ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تظهر المتخيل في الصورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد، ويرى فيها تبكيتا للخصم الألد ، وقمعا لصورة الجامح الأبي ، وذكر أنه لأمر ما أكثر سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ،وفق سائر كتبه من الأمثال ....[3]

وأشار الرازي إلى أن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ملا يؤثر وصف الشيء ، في نفسه وقلل ذلك بقوله :-

(وذلك لأن الفرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ، والغائب بالشاهد ، فيتأكد الوقوف على ماهيته ويتميز الحس مطابقا للعقل وذلك هوا النهاية في الإيضاح).[4]

---

1 أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجاني 225/1 شرح محمد عبد المنعم خفاجي ط 2 سنة 1976م مكتبة القاهرة.

2 المستقصي في الأمثال أبو القاسم (جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي) مخطوط المقدمة . دار الكتب المصرية رقم 1423 أدب.

3 الكشاف 195/1 " بتصرف ".

4 التفسير الكبير . الفخر الرازي (أبو عبد الله محمد بن عمرين حسين القرشي الطبرستاني 72/2 ط3 دار إحياء التراث العربي بيروت.

وذكر ابن القيم (م سنة 751 هـ) أن (في الأمثال من تآنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره ، وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى

ظهورا ووضوحا و فالأمثال شواهد المعنى وهي خاصة العقل ولبه وثمرته.[1]

وهكذا ظلت فكت الإيضاح تتداولها الألسن، حتى شبهت الأمثال بالمصابيح لما تفيده من إيضاح وكشف عن الحقائق، إذ نقل حاجي خليفة (م سنة1067هـ) عن أعرابي كان قد سئل عن الأمثال، فقال :-

الأمثال مصابيح الأقوال)[2]

ونلتقي في "جامع الفنون" ويقول احد الحكماء عن الأمثال :-

(المثل الرابع مغنطيس الطبائع و لأن الأمثال من أغلب الحقائق الممثلة للطباع، وأجول منها على الألسنة والأسماع ، كما أن التصاوير أعلق بالأبصار ممن جعلت له تمثيلا ، ونصب على شخصه الأصلي دليلا).[3]

وذهب ابن الأثير إلى شبيهها بالرموز والإشارات، حتى إنه يرى أن ليس في كلام العرب أو جزئها ، فقال:-

(....وليس في كلامهم أو جز ولا أشد اختصارا منها ، فلما كانت الأمثال كالرموز ، والإشارات ، التي يلوح بها على المعاني تلويحا ، صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارا).[4]

وقد أكثر الباحثون المحدثون من الحديث عن أهمية الأمثال و لاسيما للباحث في حياة الأمة التي يعد دراسة حياتها ، في أي مظهر من مظاهرها ، أو شأن من شئونها ، فالأمثال تتبع من كل طبقات المجتمع كما تصور مختلف أحوالها وعاداتها

1 أعلام الموقعين . لابن القيم الجوزية 291/1 تح عبد الرحمان الوكيل القاهرة سنة 1969م.
2 تحفة الأخبار من الحكم والأمثال والأشعار.حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله)1 المقدمة.مخطوط دار الكتب المصرية رقم 10م أدب.
3 جامع الفنون وسلوه المحزون . لم يعلم مؤلفه. ورقه رقم 7 خطوط دار الكتب المصرية رقم 4284 أدب.
4 المثل السائر في أدب الكاتب والشعر . ضياء الدين بن الأثير . القسم الأول 63.

، وتقاليدها فضلا عن نظرتها إلى الحياة وما يضطرب فيها ، وقد تحدث الأستاذ أحمد أمين عن ذلك بتفصيل وإسهاب من ذلك قوله:-

(....وأمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ ، والأخلاقي ، والاجتماعي يستطيعون منها أن يعرفوا كثيرا من أخلاق الأمة ، وعادتها ، وعقليتها ، ونظرتها إلى الحياة ،لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها). [1]

هذا ولقد فضلها على الشعر لأن قائلها من الخاصة والعامة ولا تقتصر على طبقة معينة فحسب فقال:- (فقد يتيح المثل من طبقة راقية فيكون راقيا مصقولاً، وقد ينبع من العامة فلا يكون كذلك أما الشعر فلا ينبع إلا من طبقة الشعراء، وهم عادة أرقى من الشعب وهم إن فات بعضهم رقي المعنى فلا يفوته صقل اللفظ ، ومن أجل هذا عبر بعضهم على المثل بأنه (صوت الشعب) ومن أجل هذا كانت دلالة المثل على لغة الشعب أصدق من دلالة الشعر). [2]

وتابع في ذلك بعض الباحثين ، فمن قائل إنها (من أدل الأمور على عقلية الشعوب وعادتها) [3] ومعتبر لها مقياسا لرقي الأمة ولسان أخلافها [4] ومشيرا إلى أن (دراسة الأمثال من أجدى الدراسات ، وأكثرها نفعا ، لمعرفة مظاهرها حياة الأمم وسبر أغوار هذه الحياة) [5] وهكذا.

أما إذا تجاوزنا هذا المجال مجال أهمية الأمثال للباحثين في حياة الأمم فإننا لا نلمح إلا إشارات لا تتعدى أن تكون أصداءً لما ذكره القدماء عن أميتها فعلى سبيل المثال ذكر الأستاذ عبد العزيز مزروع قدمها بقوله:-

1 قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص61ط1 لجنة التأليف والترجمة والنشر.القاهرة سنة 1953م.
2 فجر الإسلام، أحمد أمين . 61 ط6 لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة سنة 1950م.
3 الحكم والأمثال . لجنة من الأدباء العرب . المقدمة . إصدار دار المعارف بمصر.
4 تاريخ الأدب العريق في العصر الجاهلي . السباعي بيومي . ص88 (بتصرف) مطبعة العلوم مصر سنة 1932م.
5 الأمثال العامية في نجد . محمد العبودي المقدمة . ط1 دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه . القاهرة سنة 1959م.

(الحكم والأمثال من فنون الأدب، بل هي من أقدم فنونه)[1] وقد أشار آخر إلى أن (الأمثال في كل أمة خلاصة تجاربهم ومحصول خبرتهم)[2] كما قيل عنها إنها :-

(منتهى الحجة وموضع الحكم ، وذريعة الإذعان والاعتراف)[3] كما أشارت مؤلفة كتاب أشكال التعبير في الأدب الشعبي إلى أهميتها بقوله:-

(فالمثل قول قصير مشبع بالذكاء والحكمة ، ولسنا نبالغ إذا قلنا إن كل مثل يصلح أن يكن موضوعا لعمل أدبي كبير، إذا استطاع الكاتب أن يتخذ من المثل بداية لعمله ، فيعيش تجربة المثل ، ويعبر عنها تعبيرا تحليليا دقيقا).[4]

وقد أبدت المؤلفة رأيها في استعمالنا الدائم للأمثال بقولها :

(إننا نعيش جزءا من مصائرنا في عالم الأمثال ولعل هذا يفسر لنا استعمالنا الدائم للأمثال فالأمثال بالنسبة لنا عالم هادئ ، نكرن إليه حنا نود أن نجتنب التفكير الطويل في نتائج تجربتنا،

ونحن نذكرها بحرفيتها إذا كانت تتفق مع حالتنا النفسية ، بل إننا نشعر بارتياح لسماعها وإن لم نعش التجربة التي يلخصها المثل).[5]

ولعلنا هنا نتفق مع المؤلفة في رأيها عن أهمية الأمثال وسبب استعمالنا لها ولا أدل على معايشة الأمثال لمصائرنا من نطق العامة والخاصة بها في الموقف الذي يتطلب أحدها ..

كذلك نوفق صاحب رسالة (الأمثال في القرآن الكريم) على رأيه القائل فيه:

(.... لعل أهمية الأمثال ترجع إلى نزعة الإنسان في تأكيد ذاته إزاء الحياة وإذا كانت أساليب التعبير المختلفة كلها تعين على الحياة وفهمها ، فالأمثال أشمل من

1 الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي . عبد العزيز مزروع الأزهري ص100، ط1 مطبعة العلوم مصر سنة 1950م.
2 الأمثال العامية البغدادية . الشيخ بلال الحنفي .المقدمة مطبعة أسعد ببغداد سنة 1962م.
3 الوسيلة الأدبية . الشيخ حسين الموصفي-64/2 ط1 طبع المدارس الكلية 1292 هـ.
4 أشكال التعبير في الأدب الشعبي .د. نبيلة إبراهيم ص144 ، مطبعة العالم العربي بمصر.
5 أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص147.

كل تلك الأنواع ، واقصر من تلك السبل ومن هنا كان لها ما كان من أهمية فضلا عما سبق من قبل في خصائصها ومميزاتها من حيث الشكل والمضمون)[1]

تلك هي أهمية الأمثال بصفة عامة لدى بعض القدماء والمحدثين ولعلنا بهذا العرض السريع استطعنا أن ننقل شيئا من أهميتها قديما وحديثا ...

أهمية الأمثال القرآنية:

ما من شيء أهم وأدق في تحديد الأمثال القرآنية مما ذهب إليه القرآن الكريم نفسه. ومن هنا كان لزاما على الباحث أن يقف وقفة تأمل وتدبر، على ما تحدث به القرآن في هذا الشأن قبل أن يقف على ما تحدث به غيره.

ولقد وردت الأمثال في القرآن ، ولا يستطيع باحث أن يتغافل عن ورودها فيها ، ولا عما يترتب على ذلك من شرف مكانتها ، وسمو منزلتها ، إذ لولا عظم شأنها لما تضمنها ، ضلا عن إكثاره منها. يضاف إلى ذلك أن القرآن لم يقتصر على إيرادها والإكثار منها، وإنما أكثر من الآيات التي أشادت بها ، حتى كادت كثرة تلك الآيات، أن تكون مبعث حيرة الباحث فيما يأخذ منها وما يدع ، وبأيها يمكنه أن يبتدئ حديثه، وبأيها يستطيع أن يختمه.

ولو أن باحثا عمد إلى جمع هذه الآيات واكتفى بعرضها و لما كان ملوما.ونحن هنا لا نطمع في أن نضيف جديدا إلى مضامين تلك الآيات، كما لا نطمع في أن نحيط – إحاطة شاملة – بكل ما سخا به القرآن الكريم على أمثاله من إطراء ، وما أضافه عليها من أهمية. وكل ما يمكن أن نطمع إليه هو أن نبرز – ما يوسعنا ذلك – أوضح جوانب تلك الأهمية مستهدين بهدى الآيات التي تحدثت عنها ، أو أشارت إليها.

1 الأمثال في القرآن الكريم . محمد جابر الفياض .ص51

وقبل أن نستعرض تلك الآيات نود أن نقف على بعض الأمثال التي كان لها رد فعل عنيف في نفوس المشركين، دفعهم لان يعيبوا على الله ضربه الأمثال بالأشياء الحقيرة ، وما رد القرآن على هذا الزعم، لأهميته ذلك كله فيما نحن بصدده.

ومن ابرز تلك الأمثال تمثيل الله ماتخذ – من دونه – وليا بيت العنكبوت في قوله تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) (سورة العنكبوت)

حيث هال المشركين أن تمثل آلهتهم التي ظلوا لها عاكفين –ببيت العنكبوت ضعفا ووهنا، وهم لا يرون أوهن منه. وآلمهم – أكثر من ذلك – أنهم لا يستطيعون رد ذلك عنها، أو نقضه. فليس لديهم ما يرونه مقنعا لهم، فضلا عن إقناع خصومهم – من المسلمين– بقوتها وقدرتها. وإذا كان بينهم من يكابر في ذلك بينه وبين نفسه، فقد قطع الله عليه مكابرته بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾. [سورة الحج الآية:73]

فهم يدخلون على الآلهة، ويرون الذباب عليها، ولو وقف الذباب على وجه أحدهم لطرده، ويرون الأصنام غير قادرة على ذلك. ويتردد صدى الآية الكريمة في آذانهم شاءوا أو أبوا، وتشتعل نار الغيظ في نفوسهم، ويتمنون لو لم يكن الذباب قد خلق، فيا حبذا لو كانت الأصنام قادرة على التصرف معه، أو في الأقل ليت أن الله لم يلحظ ضعفها عنه، وعجزها إزاءه، فلا يقرنها به، إذا لما كان بوسع المسلمين أن يتسلطوا عليهم، بهذا السوط الذي ألهبوا به ظهورهم، فما عساهم أن يفعلوا ؟.

فلما أوصدت في وجههم المنافذ ، عمدوا إلى إعابة ضرب الله الأمثال بالأشياء الحقيرة. غير أن الله لم يدعهم يستردوا أنفاسهم بما عللوا أنفسهم به ، حيث فند ما ذهب إليه بقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: 26)

فأكد أنه سبحانه لا يستنكف من ضرب الأمثال بما هوا أصغر، وأحقر، من تلك التي استصغروها واستحقرها ، ورأوا أن من المعيب ضرب الأمثال بها، طالما كان الممثل له بمثل حقارتها، وصغر شأنها. فالأمثال صور الأشياء. وما يبدو في الصورة – مما يستحب أو يستكره– إنما هو انعكاس لصاحبها. وضارب المثل رسامو وبراعة الراسم لا تظهر في قدرته على إظهار الجميل بمظهر القبيح، ولا القبيح بظهر الجميل، وإنما تظهر تلك البراعة، في قدرته على المشابهة والمطابقة بين الصورة وصاحبها.

وضارب المثل مرآة صادقة، وما على المرآة من عتب في إظهارها للقبيح من الأشياء قبحه، وللجميل منها جماله.

وكم يبعث على السخرية والاستهزاء القبيح أمام المرآة ، حتى إذا بدت له صورته

عاب على المرأة ظهور مثل هذه الصورة البشعة على صفحتها .

ومن هذا يتضح أن لا عيب في ضرب الأمثال، أيا كان الممثل به، مادام مطابقا للمثل له : صغيراً كان أو كبيراً، عظيماً أو حقيراً، جميلا أو قبيحاً، والعيب – كل العيب – في الإخلال بتلك المطابقة، والإخبار بغير الحقيقة، وإظهار الأشياء بما ليس فيها، مما يقع فيه الجهلاء بحقائق الأشياء، فالتمثيل يقتضي إحاطة دقيقة بالمثل له وقدرة فائقة على تصوريه وتمثيله، ولهذا سخر الله مما ضربه المشركون للرسول ρ من أمثال. وصرهم جهلاء ضالين ، يتخبطون في تمثيلهم له – خبط عشواء – بين شاعر، ومجنون، ومسحور، وغير ذلك مما تنزه عنه. وضلوا عن نبوته ورسالته، ففاتهم الحق، وما بعد الحق إلا الضلال. قال تعالى:–

(**انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**) (الإسراء:48)،(الفرقان:9)

وهذا – أيضا – نهى الله الناس عن أن يضربوا له الأمثال بقوله :–

(فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) (النحل: 74).

بينما ضربها لنفسه بقوله:-

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (النحل: 75)

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (النحل: 76).

وقد أوضح الله سبب ذلك بقوله:-

(إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ). (النحل: 74).

عقب قوله:-

(فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ). (النحل: 74).

المتقدم ومهم يكن من شيء، فإذا كان الله قد أوضح أنه سبحانه لا يأنف من ضرب الأمثال -حتى بالأشياء الحقيرة - إذا كان الممثل له يستلزم ذلك،ويقتضيه،فقد ضرب الله تعالى الأمثال في القرآن، وأكثر من ضربها ونسب هذا الضرب إليه فقال:-

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً).(النحل:112).

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ).(التحريم: 10).

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ... وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ).(التحريم:11-12).

وغير ذلك.

هذا ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد امتن الله على الناس بضربها لهم فقال:- **(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ)**.(الروم:58)(الزمر:27)

كما من عليهم بتصرفيها فقال:-

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ).(الإسراء: 89)(الكهف54).

وهكذا نجد أن الله قد ضرب الأمثال، ورد مزاعم المشركين، من أن التمثيل بالأشياء الحقيرة لا يتناسب وعظم شأنه، وجليل قدره، وأكثر من ضربة للأمثال، ونسب ضربها لنفسه، وامتن على الناس بضربها،من أجله ، فقال:-

(كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ).**(الرعد: 17)**.

وقال:-

(يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ).**(محمد: 3)**.

ويرينا القرآن أن الأمثال من الأسلحة التي كان لها أثرها الفعال في الصراع العقائدي بينه وبين خصومه، الذين قال الله عنهم:-

(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).(التوبة:32)

فإذا كان الله قد ضرب الأمثال الدالة على جهلهم، وبطلان معتقداتهم، فقد ضرب هؤلاء الأمثال لله ، ورسول، وكثير مما جاءهم الإسلام به من تعاليم ومعتقدات، فقال تعالى :-

(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(78)قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ(79)).(يس:79.78).

وقال مخاطبا الرسول ρ:-

(انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا).(الإسراء:48)(الفرقان:9).

ومما يؤكد كون المثل المضروب قطب رحى تلك الخصومة قوله تعالى:

(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا). (الفرقان: 33).

فلوا لم تكن الأمثال من أمضى أسلحة الخصومة الكلامية، ولو لم يكن لها من السطوة والسلطان على النفوس ما ليس لغيرها، لما ركن إليها – مثل هذا الركون – في مثل هذه الخصومة والمحاجة، كما يرينا القرآن أنه إذا كانت أمثاله نارا أحرقت أباطيل المبطلين، وسيوفا ماضية شهرها في وجوه المتعدين والمكابرين، فإنها نور يكشف للناس الغي من الرشاد، والهدى من الضلال، ويميز به الخبيث من الطيب. فهي ليست تصويرا وتشخيصا للأشياء لمجرد الرغبة في التصوير والتشخيص وإنما هي إحقاق للحق، وإزهاق للباطل، وحكم للشيء أو عليه. وفيها العبر لمن اعتبر والتذكرة لمن شاء أن يتذكر، فهي تجسد ذلك وتبرزه من طريق الصورة. ومن هنا كانت الأمثال خير باعث على التذكير، والتفكير والاعتبار قال تعالى:-

(وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).(إبراهيم: 25).

وقال:-

(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ). (الزمر:27).

وقال:-

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ). (الحشر:21)

ومن أجل ذلك فالأمثال القرآنية تتطلب علما يعين على إدراك ما فيها من عظات، وحكم، وعبر، كيف لا وضربها سبحانه يقول :-

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُون). (العنكبوت: 43).

فحصر فهمها وإدراكها – كما ينبغي أن تفهم عليه – بالعلماء دون غيرهم من الناس. فالأمثال القرآنية أحكام، وتشريعات، وإن جاءت على غير ما عهد أن تجيء عليه التشريعات والأحكام من أساليب. والقرآن لا يرى الأمثال وسيلة هداية فحسب، وإنما يراها من أجدى وسائلها ، وأقوى ما يمكن أن تعالج به النفوس، ولولا ما جلبت عليه

كثير من النفوس ، من شغف بالجدل، وشبت بالجحود، والجمود، لكانت الأمثال القرآنية كفيلة بداية الناس، وإنقاذهم مما يتخبطون فيه من ضلالات وجهالات. قال تعالى :-

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا). (الكهف:54)

وقال:-

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا).(الإسراء: 89).

وإذا عفنا أن هؤلاء وأمثالهم.

(لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ). (الأعراف: 179).

أدركنا سر بقائهم على ما هم عليه ، مع ضرب الأمثال لهم. وأدركنا كذلك أن تماديهم في الكفر لم يكن لعجز الأمثال، وضعف تأثيرها، إذ ما عسى أن تفعل الأمثال مع من هوا أضل من البهيمة وأصم من الحجارة الصماء؟وكفى الأمثال فخرا أنها حين لا جدي مع قوم، فما من وسيلة أخرى يمكن أن تجدي معهم، أياً كانت تلك الوسيلة. ولهذا قال الله سبحانه:-

(وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (44) وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (45)).(إبراهيم:44-45)

فالأمثال آخر ما يمكن تقديمه من وسائل الهداية والإرشاد. وبهذا يمكن أن يفسر لنا ما أخبرنا الله به من أنه ما من أمة من الأمم التي نزلت بعها عقوبته وحلت بساحتها نقمته إلا وقد ضرب لها الأمثال، حتى إذا لم تضع حدا لغواية تلك الأمة وعصيانها،

أنزل الله بها ما أنزل، وأحل بها ما أحل و فقال عز من قائل – بعد أن ذكر من ذكر ممن أهلكم واستأصل شأفتهم من الأقوام:

(وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا). (الفرقان: 39).

وإذا قارنا هذا بقوله:

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا). (الإسراء: 15).

أدركنا أن الأمثال خلاصة الرسالات السماوية. فالعذاب لا يصيب أمة لم تضرب لها الأمثال، كما لا يصيبها ما لم تبلغها رسالة السماء، فتعرض عنها.

ومن هنا يتضح أن الإعراض عما ضربه الله من أمثال إعراض عن رسالاته، يستوجب عقوبته. ومهما أطلنا الحديث عن أهمية الأمثال القرآنية فإننا لا نستطيع أن نفي الموضوع حقه.

والذي نراه أن تحليل تلك الأمثال، والوقوف على ما عالجته من موضوعات، يمكن أن يرنا ما لم نره من أهميتها، ويقف بنا على ما فاتنا الوقوف عليه.

ومهما ين من الشيء، فإذا كانت هذه أهمية الأمثال في القرآن الكريم – كما أوضحها القرآن الكريم نفسه – فلا غرابة في أن يراها الرسول ρ من أوجه القرآن الخمسة فيقول:

(إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال).[1]

ولهذا فقد عدها الشافعي مما يجب على المجتهد من علوم القرآن، فقال:

(... ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المثبتة لاجتناب معصيته...).[2] وإذا كان الشافعي قد عدها علما من بين علوم القرآن الواجب على

1 البرهان: 486/1، الإتقان: 131/2.
2 الإتقان: 131/2.

المجتهد معرفتها، فقد ذهب أبو الحسن الماوردي إلى أنها من أعظم علوم القرآن فقال :

(.... إن من أعظم علم القرآن يستفاد منه أمور كثيرا : التذكير، والوعظ ، والحث، والزج ، والاعتبار، و التقرير، وترتيب المراد للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث تكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس.

وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر وتحقيره ، وعلى تحقيق أمر و إبطال أمر. قال تعالى:-

(**وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَال**). (إبراهيم:45)

فامتن علينا بذلك، لما تضمنت من هذه الفوائد ..[1].

ونقل السيوطي عن الشيخ عز الدين قوله (إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظا، فما اشتمل منها على تفاوت في الثواب، أو على إحباط علم ، أو على مدح، أو ذم، أو نحوه، فإنه يدل على الأحكام).[2]

وقال ابن خلاد الرمهرمزي (.... أمثال التنزيل التي وعد الله – عز وجل – بها وأوعد وأحل وحرم، ورجى وخوف، وقرع بها المشركين ، وجعلها موعظة وتذكيراً ، ودل على قدرته مشاهدة وعياناً ، وعاجلا و آجلا، ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم).[3]

---

1 البرهان: 487/486.
2 الإتقان: 131/2.
3 مقدمة أمثال الحديث: للرامهرمزي - مخطوط.

المبحث الثالث: أنـــــــــواع الأمثـــــال

ذكر الباحثون[1] أن الأمثال على ثلاثة أنواع:-

1-المثل الموجز السائر:- وهو إما شعبي لا تعمل فيه ولا تكلف، ولا تقيد بقواعد النحو، وأما كتابي صادر عن ذوي الثقافات العالية كالشعراء والخطباء....

وذلك كقولهم :-

(رب عجلة تهب ريثا)[2] أو قولهم :-

(كالمستجير الرمضاء بالنار) أو (المستغيث من الرمضاء بالنار)[3]

2- المثل القياسي:- وهو سرد وصفي قصصي أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل ويسميه البلاغيون التمثيل المركب : فهو عبارة عن تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر أو اعتبار أحدهما بالآخرة لغرض التأديب أو التهذيب أو التوضيح والتصوير، وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير[4]

3- المثل الخرافي:- وهو حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان لغرض تعليمي أو فكاهي وما شابه ذلك كقولهم:- (أكلت يوم أكل الثور الأبيض).

الفرق بين النوعين (القياسي . الخرافي) :-

يبدو الفرق بين المثل الخرافي والمثل القياسي أن الأول تنسب الأحاسيس الإنسانية إلى غير الإنسان من الحيوان أو طير وغيرهما بينما إذا استخدمت الحيوانات في المثل القياسي لا تعد و أن تكون مجرد توضيح للفكرة . دون أن تتحدى القوانين التي يخضع لها نوعها .

---

1 أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الثالث الهجري ص22-34.
2 مجمع الأمثال 36/2.
3 نفسه 34/3.
4 الأمثال في القرآن الكريم. لابن القيم.ص20 (بتصرف)

ويرمز المثل الخرافي إلى الأشياء أي يقال شيء ويقصد به شيء آخر.

أما القياسي فيراد به الأشياء التي ذكرت فيه لتوضيح الفكرة عن طريق التشبيه والتمثيل.[1]

بين المثل والتمثيل (التشبيه التمثيلي)

أرى أن نستأنس هنا ببعض الآراء البلاغية في الفرق بين المثل والتمثيل أو التشبيه و التشبيه التمثيلي لأن معظم أمثال القرآن هي من النوع الثاني ، ولا يتسنى لنا معرفة هذا النوع إن لم يشر ولو بإيجاز إلى النوع الأول وهو الأصل – لنعرف الفرق بينهما.

1– فمن المعروف أن التشبيه له أركان أربعة وهي:–

الشبه، التشبيه به، وهما طرف التشبيه، ووجه الشبه والأداة (أداة التشبيه).

2– وينقسم بعد ذلك الشبيه باعتبار وجه الشبه إلى قسمين :–

أ– تشبيه غير تمثيل (التشبيه).

ب– تشبيه تمثيلي (التمثيل).

فللتشبيه إطلاقان، إطلاق المعنى العام الذي ينقسم إلى قسمين و إطلاق بالمعنى الخاص الذي يقابل التمثيل.

فالتشبيه بالمعنى العام ، أعم من التمثيل مطلقاً[2] لأنه قسم منه ، وعلى ذلك يكون كل تمثيل تشبيها وليس كل تشبيه تمثيلاً.[3]

وكثيرا ما يطلق الشيخ عبد القاهر التشبيه ويريد به ما قابل التمثيل كقوله : فأنت تقول في قول الشاعر :– وَقَد لَاحَ في الصُبح الثُريا لمن رأى كمنقود ملاحية حينَ نوراً

1 الأمثال في القرآن الكريم ، لابن القيم ص20 (بتصرف).
2 علم البيان .د. يوسف البيومي ص10ط 1971م (بتصرف).
3 نفسه ص10.

إنه تشبيه ولا تقول إنه تمثيل.[1]

3-الآراء البلاغية في هذا التقسيم:-

لقد بينا سابقاً[2] أن سبب التقسيم إلى التشبيه راجع إلى وجه التشبيه باتفاق علماء البيان .

إلا أن كل واحد منهم كان له رأي في ذلك ولنعرض هنا بعض هذه الآراء:-

أ-رأي الشيخ عبد القاهر الجرجاني:- للقد ذهب الشيخ عبد القاهر إلى أن التشبيه التمثيلي يكون في وجه الشبه القلي غير الحقيقي أي غير المتقرر في ذات الموصوف كقولهم:-

(حجة كالشمس في الظهور).

فالواضع هنا أن وجه الشبه في يحتاج إلى تأول في الشبه وهو (الحجة) لأنها شيء عقلي لا يدرك بالحس ، فلا بد هنا من إيراد لازم الظهور وهوا عدم وجود المانع من الإدراك مطلقا وهذا هوا وجه الشبه في الحقيقة وهو عقلي غير حقيقي.

وبهذا يكون رأي الشيخ في التشبيه التمثيلي هو ما كان وجه الشبه فيه متأولا وليس بيناً ظاهراً[3] كما قولنا : شعرها ليل مثلا.

وبذلك يجيب أن لا يقع الاشتراك بين الطرفين في الصفة نفسها بل في لازمها ومقتضاها و وهذا يتحقق في التشبيه ذي الوجه العقلي غير الغرزي كما قيل :-

(كلام كالعسل في الحلاوة).

فالحلاوة موجدة على الحقيقة في العسل ولكنها غير موجودة في كلام حقيقة وإنما المراد لازم هذه الحلاوة ومقتضاها وهي استطابة النفس وراحتها.

---

1 نفسه ص10.
2 فضلا راجع ص34 من هذا البحث.
3 أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني 203/1 ط2 سنة 1976م.

وبهذا التأويل يمكن أن يشارك اللفظ العسل وتصبح هذه الصفة المتأوله موجودة في الطرفين فكلاهما تستطيبه النفس وترتاح إليه .

وهكذا كل ما كان وجه الشبه حصلا بضرب من التأول سواء أكان مركبا أم مفرداً يكون تشبيها تمثيليا عند الشيخ عبد القاهر.

ب- رأي السكاكي:- لقد جاء السكاكي بعد الشيخ عبد القاهر فقسم الوجه إلى حِسي وعقلي حقيقي وهي الكيفيات النفسية وعقلي غير حقيقي وهي ما عداهما .

ولكنه خلفه في الفرق بين التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي[1] والتشبيه التمثيلي عند السكاكي هو:-

ما كان وجه الشبه فيه عقليا[2] غير غرزي وكان مع ذلك مركبا . أما ماعدا ذلك فليس من التشبيه التمثيلي في شيء.

وبذلك يكون قول الله تعالى :-

" **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** "[3]

تشبيها تمثيليا عند السكاكي ، لأن وجه الشبه فيه عقلي غير غرزي مركبة وهو حرمان الانتفاع بأبلغ نافع من تحمل التعب والمشقة .

ج- رأي الخطيب القزويني:- لقد جعل الخطيب القزويني عماد الفرق بين الضربين ، التركيب في الوجه وعدمه، فما كان وجه مركبا فهو تمثيلي ، حسيا كان أم عقليا ، وما كان مفرداً فهو غير تمثيلي حسيا كان أم عقلياً.

فقول الشاعر :-

وكــأن النجـــوم بين دجاهـــا سنن لاح بيـــنهن ابتِـــــداع

1 علم البيان .د. يوسف البيوس. ص17 (بتصرف).
2 نفسه ص17.
3 سورة الجمعه 5.

تشبيه تمثيلي . لأن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود فشبه النجوم ما بين الدياجي بالسنن ما بين الابتداع في ذلك[1]

د-رأي الجمهور:- إن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه هيئة حاصلة منتزعة من متعدد سواء كان:-

الوجه حسيا ، والطرفان :-

أ- مركبين مثل :-

كأن مثار النفع فوق رؤوسنا * * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه.

ب- أو مركبا ومفردا مثل :-

يا صاحبي تقصيا نظريكما * * تريا وجوه الأرض كيف تصور.

تريا نهارا مشمسا قد شابه * * زهر الريا فكـأنما هو مقمـــر.

ج- أو مفرداً ومركبا مثل :-

وكأن محمر الشقـــــيـ * * ـق إذا تصوب أو تصعد.

أعلام ياقـوت نشـــــر * * ـن على رماح من زبرجد.

د- أو مفرداً ومركبا مثل :-

أو كان الوجه عقلياً[2] مثل قوله تعالى :-

" **مَثَلُ الْذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً** ".

---

1 الإيضاح . الخطيب القزويني . شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي 135/4 تح . محمد عبد المنعم خفاجي ط1950م.

2 الإيضاح في علوم البلاغة . 139/4.

هـ-أما رأى الزمخشري وعلماء اللغة:- فخلاصته :-

إن التمثيل والتشبيه مترادفان فكل تمثيل تشبيه وبالعكس.[1]

أمثال القرآن الكـــريم

إن أول ما يلاحظ على أمثال القرآن الكريم أن منها المائي ومنها الناري ، وقد تجتمع هاتان الصفتان في أكثر من مثل.[2]

أنواع الأمثال في القرآن:- لقد ذكر السيوطي نوعين [3] من أنواع الأمثال في القرآن الكريم ثم أعقبها بنوع ثالث نقله عن جعفر بن شمس الخلافة في كتابه الآداب وهي :-

أ- **الأمثال المصرحة:-** وهي التي صرح فيها بلفظ المثل أو ما وجد فيها التشبيه واضحا[4] كقوله تعالى في شأن النافقين :-

- **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19).** [5]

فنلاحظ في المثل السابق كيف اجتمعت الصفتان ، النارية في قوله تعالى :-

(كمثل الذي استوقد ناراً...) لما في النار من مادة النور والصفة المائية في قوله تعالى :-

(أو كصيب من السماء....) لما في الماء من مادة الحياة كذلك نلاحظ فيها التصريح بكلمة التمثيل في قوله :-

---

1 نفسه 139/4.
2 سورة البقرة آية رقم 17- 19 كذلك سورة الرعد آية رقم 17 كذلك سورة النور 35.
3 الإتقان . السيوطي 132/2.
4 مباحث في علوم القرآن . مناع قطان 284 بتصرف ط3 سنة 1972م.
5 سورة البقرة آية 17-19.

(مثلهم كمثل..... ....).

ب- الأمثال الكامنة[1]:- وهي التي لا ذكر للفظ المثل فيها وإنما تدل على معانٍ رائعة في إيجاز يكون لها . وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها.[2]

وهي التي يقول فيها الزركشي :-

(كما جاء ذلك تصريحا فقد جاء مطويا ذكره على طريق الاستعارة).[3]

قال تعالى :-

- **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ .**[4]

ونستطيع أن نضيف هنا أن الأمثال الكامنة في القرآن قد تأتي على سبيل التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أيضا كقوله تعالى :-

(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا). [5]

أما النوع الثالث الذي نقله السيوطي عن جعفر بن شمس الخلافة في كتابه الآداب فهو :-

ج- الأمثال المرسلة:-

وهي التي يقال عنها ألفاظ من القرآن جارية مجرى الأمثال ويقول عنها السيوطي :-

(وهذا من النوع البديعي المسمى بإرسال المثل).[6]

---

1 الإتقان السيوطي 132/2.
2 مباحث في علوم القرآن د. مناع قطان ص 285.
3 البرهان في علوم القرآن . الزركشي ج1، ص 492.
4 سورة فاطر: 12.
5 سورة الإسراء:29.
6 الإتقان . السيوطي ج2 ، ص133.

ففي عبارة عن آيات أرسلت إرسالا يمكن أن نجريها مجرى الأمثال ودليل ذلك أننا نستطيع أن نأتي في بعضها بما يقابلها من كلام البشر مع فارق الجلال والجمال بين القولين من غير شك.

مثال ذلك قوله تعالى :-

- **قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ.**[1]

ويوافقها قولهم : (سبق السيف العذل). [2]

" أليس الصبح بقريب ".[3]

ويوافقها قول الشاعر " وإن غدا لناظره قريب ".[4]

1 يوسف ، 41.

2 التمثيل والمحاضرة ، أبو منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل الثعالبي . تح عبد الفتاح محمد الحلو ط سنة 1961م. دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

3 سورة هود: 81.

4 التمثيل والمحاضرة 16.